

50330 - ما الحكمة من تحريم الصوم على الحائض ؟

السؤال

نريد أن نعرف الحكمة من عدم صيام المرأة مع أن الصيام لا دخل له بالنجاسة .

الإجابة المفصلة

أولاً :

يجب على المؤمن التسليم لحكم الله تعالى والانقياد له ولو لم يعرف الحكمة منه ، بل يكفيه أنه أمر الله ورسوله ، قال الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) الأحزاب/36. وقال : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) النور/51.

ثانياً :

يوقن المؤمن ويؤمن إيماناً جازماً أن الله تعالى حكيم ، فلا يشرع شيئاً إلا لحكمة بالغة ، فلا يأمر بشيء إلا لما فيه من المصلحة الخالصة أو الغالبة ، ولا ينهى عن شيء إلا لما فيه من المفسدة الخالصة أو الغالبة ، وما أحسن ما قاله ابن كثير رحمه الله في "البداية النهاية" (6/79) :

"وجاءت شريعته (صلى الله عليه وسلم) أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل : ليتته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل : ليتته لم ينه عنه" اهـ .

لكن هذه الحكمة قد نعلمها ، وقد تخفى علينا ، وقد يخفى علينا أكثرها أو بعضها .

ثالثاً :

أجمع العلماء على تحريم الصوم على الحائض ، وأنها يلزمها قضاء ما أفطرته بسبب الحيض إذا كان الصوم واجبا كصيام رمضان .

وأجمعوا أيضا على أنها إذا صامت لم يصح صومها . انظر السؤال رقم (50282) .

واختلف العلماء في الحكمة من عدم صحة الصوم من الحائض .

فقال بعضهم : الحكمة غير معلومة لنا .

قال إمام الحرمين : " وَكَوْنُ الصَّوْمِ لَا يَصِحُّ مِنْهَا لَا يُدْرِكُ مَعْنَاهُ ، فَإِنَّ الطَّهَارَةَ لَيْسَتْ مَشْرُوطَةً فِيهَا " اه من "المجموع" (2/386).

وقال آخرون : بل الحكمة أن الله تعالى نهى الحائض عن الصيام وقت الحيض رحمةً بها ، لأن خروج الدم يضعفها ، فإذا صامت وهي حائض اجتمع عليها الضعف بسبب الحيض وبسبب الصيام ، فيخرج الصوم بذلك عن حد الاعتدال ، وقد يصل إلى حد الإضرار .

قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (25/234) :

" فَتَذَكَّرُ حِكْمَةَ الْحَيْضِ وَجَرِيَانَ ذَلِكَ عَلَى وَفْقِ الْقِيَاسِ فَتَقُولُ :

إِنَّ الشَّرْعَ جَاءَ بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وَالْإِسْرَافُ فِي الْعِبَادَاتِ مِنَ الْجَوْرِ الَّذِي نَهَى عَنْهُ الشَّارِعُ وَأَمَرَ بِالِاِقْتِصَادِ فِي الْعِبَادَاتِ ; وَلِهَذَا أَمَرَ بِتَفْجِيلِ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرِ الشُّحُورِ وَنَهَى عَنِ الْوَصَالِ وَقَالَ : (أَفْضَلُ الصَّيَامِ وَأَعْدَلُ الصَّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا وَلَا يَفْرُ إِذَا لَاقَى) فَالْعَدْلُ فِي الْعِبَادَاتِ مِنْ أَكْبَرِ مَقَاصِدِ الشَّارِعِ ; وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) المائدة/87. فَجَعَلَ تَحْرِيمَ الْحَلَائِلِ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ الْمُخَالِفِ لِلْعَدْلِ وَقَالَ تَعَالَى : (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ) فَلَمَّا كَانُوا ظَالِمِينَ عُوقِبُوا بِأَنْ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتِ ; بِخِلَافِ الْأُمَّةِ الْوَسْطِ الْعَدْلِ فَإِنَّهُ أَحَلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحَبَائِثَ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالصَّائِمُ قَدْ نَهِيَ عَنِ اخْتِزَاعِ مَا يُقْوِيهِ وَيُعَدِّيهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَنَهِيَ عَنِ إِخْرَاجِ مَا يُضَعِّفُهُ وَيُخْرِجُ مَادَّتَهُ الَّتِي بِهَا يَتَعَدَّى وَإِلَّا فَإِذَا مُكِّنَ مِنْ هَذَا صَرَّهُ وَكَانَ مُتَعَدِّيًا فِي عِبَادَتِهِ لَا عَادِلًا . . .

وَالْحَارِجَاتُ نَوْعَانِ : نَوْعٌ يُخْرِجُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْاِحْتِرَازِ مِنْهُ أَوْ عَلَى وَجْهِ لَا يَصْرُهُ فَهَذَا لَا يُمْنَعُ مِنْهُ كَالْأَحْبَتَيْنِ (البول والغائط) فَإِنَّ خُرُوجَهُمَا لَا يَصْرُهُ وَلَا يُمَكِّنُهُ الْاِحْتِرَازُ مِنْهُ أَيْضًا . وَلَوْ اسْتَدْعَى خُرُوجُهُمَا فَإِنَّ خُرُوجَهُمَا لَا يَصْرُهُ بَلْ يَنْفَعُهُ . وَكَذَلِكَ إِذَا ذَرَعَهُ الْقَيْءُ (أَي غلبه) لَا يُمَكِّنُهُ الْاِحْتِرَازُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ الْاِحْتِلَامُ فِي الْمَنَامِ لَا يُمَكِّنُهُ الْاِحْتِرَازُ مِنْهُ ، وَأَمَّا إِذَا اسْتَقَاءَ فَالْقَيْءُ يُخْرِجُ مَا يَتَعَدَّى بِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . . وَكَذَلِكَ الْاِسْتِمْنَاؤُ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الشَّهْوَةِ . . وَالِدَّمُ الَّذِي يُخْرِجُ بِالْحَيْضِ فِيهِ خُرُوجُ الدَّمِ ، وَالْحَائِضُ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَصُومَ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الدَّمِ فِي حَالٍ لَا يُخْرِجُ فِيهَا دَمًا فَكَانَ صَوْمُهَا فِي تِلْكَ الْحَالِ صَوْمًا مُعْتَدِلًا لَا يُخْرِجُ فِيهِ الدَّمُ الَّذِي يُقْوِي الْبَدَنَ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهُ وَصَوْمُهَا فِي الْحَيْضِ يُوجِبُ أَنْ يُخْرِجَ فِيهِ دَمًا الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا وَيُوجِبُ نُقْصَانَ بَدَنِهَا وَضَعْفَهَا وَخُرُوجَ صَوْمِهَا عَنِ الْاِعْتِدَالِ فَأَمْرٌ أَنْ تَصُومَ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الْحَيْضِ " اه باختصار .